أدب التـــاريخ

أو التاريخ الشعرى

للأستاذ خليل رشيد

ليس الغرض من مقالنا بيان فضل التاريخ وما يحدثه من أثر طيب بتربية الذوق الأدبى . إنما غرضنا الحديث عن فن أدب التاريخ أو كما يسميه صديقنا المرحوم النقدى عضو مجلس التمييز الشرعى ببغداد ، بضبط التاريخ بالأحرف

وسأقدم إليك لوحة فنية من مبدعات هذا الفن الخالد بخلود التاريخ ، وقد أضفت إليها ريشة الفنان بُرد الفن ولبوسه، وأسبغ عليها قلم المؤرخ أبدع روائعه . وسأقدم لك جهبذاً من جهابذة هذا الفن وغريداً تغنى على فن الشعر ، وصدح فى رياض الأدب منذ نصف قرن أو نزيد قليلا ، هو الحاج مجيد[1] المشهور بالعطار نور الله مرقده

والحاج مجيد سريع النكتة ، حاضر البديهة ، شاعر بما يريد أن يقول ، يغذى شعره عصارة فكره ودم قلبه . عميق الفكرة ، متين القول ، سلس الأسلوب ، فإذا حلق فى سماء الفكر خرت التواريخ أمامه صاغرة ليختار الجيد الجميل منها ، ويرجع بغنيمة الظافر المنتصر ، وقد ضمن التاريخ نكتة أدبية رائعة ، تبهرك إعجابا بعظمة الفكر وسرعة الخاطر . فى شعره جزالة القديم ورقة الحديث ، وفيه دقة المعنى وروعة التصوير . . وليس هذا النوع من الأدب سهل المأخذ ، بل هو صعب جموح ، يخضع لقواعد ونظم قد لا يخضع لها غير أدب التاريخ من الفنون الأدبية الأخرى

منها : [2] ما يحسب فى التاريخ على الطريقة المألوفة فى علم الخط لا مايكتبه المؤرخ حسب رأيه ، فالمتل بالياء سواء كان اسما كموسى ، أو فعلا كرمى ، أو حرفا كإلى لا يحسب آخره فى التاريخ ألفاً ، وإنما يحسب ياء، فالأول كقول أحد الفضلاء فى تاريخ وفاة أحد العلماء الأعلام :

مضى الحسين الذى بجسد من نور عـــلوم من عالم الدرر
قدس مثوى منه حوى علماً مقدس النفس طيب الذكر
أوصافه عطرت فأنشقتنا منهن تاريخه شذى العطر

والثانى كقول عيد النفار الأخرس ، يؤرخ وفاة السيد عبد الرحمن النقيب وفيه الشاهد للثالث أيضا :

يوم به قيـــل أرخ مضى إلى ربه النقيب
سنة ١٢٩١ هـ

وفى الثالث : قول عبد الباقى العمرى ، يؤرخ تعيين المشير رشيد الحوزكلى لبغداد :

بشرى لبغـداد فقد أرخوا إلى رشيـد أب قطر العراق
سنة ١٢٦٩ هـ

وقد أهمل المد فى آب .. والصحيح عدم إهمالها

ومنها : اختلافهم فى بعض مايكتب ، كالتاء التى تكون فى الوقف هاء ، كفاطمة. والهمزة الواقعة فى آخر الكلمة ، كهمزة ، جاء . وداء . ورجاء . وأمثالها . . والألف من لفظ الجلالة ، والألف التى يوضع لها علامة المد

أما التاء التى تكون فى الوقف هاء فقد عدها جماعة من الأدباء هاء والصحيح أنها متى تحركت كانت تاء . وتعد بأربعمائة؛ وإذا وقف عليها كانت هاء وعدت بخمسة ، وكذلك الهمزة من جاء وأمثالها ، عددها واحد عند الحساب كأختها الألف كما فى قول عبد الباقى العمرى يؤرخ دار العلامة الألوسى صاحب تفسير

(١) حدثنا عنه الدكتور البصير . فى كتابه نهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر . ص ٢٠٨ فقال : أما العطار الحاج مجيد . فكان متوقد الذهن . سريع الخاطر إلى درجة مدهشة . ولا سيما فى التواريخ بالشعر . وكان شديد التمسك بالدين . حسن الإلمام بالعربية . بديع الخط . كما أنه كان محترما عند الجمهور احتراماً غير قليل

وذكره صديقنا فضيلة الأستاذ صادق بحر العلوم. قاضى الشرع الشريف بمدينة العمارة . بمجموعه الرائق فقال : الحاج مجيد بن محمد بن أيبك الشهير بالعطار . بغدادى الأصل . على المنشأ والمسكن . كان مولده ببغداد . فى شهر ذى القعدة سنة ١٢٨٢ هـ . ونشأ فى الحلة وبها نال مانال من أدب وكمال . وفى سنة ١٣٣٤ هـ انتقل بأهله إلى ناحية الحكوفة من قضاء النجف الأشرف . وكنت أجتمع به كثيرا . وأكتب من بنات أفكاره ما يمليها على بنفسه . فلم أر من يضاهيه فى سرعة البديهة وقوة الشعر

وقال فضيلة الأستاذ المرحوم النقدى فى كتابه ضبط التاريخ بالأحرف ص ١٢ ماهذا نصه . . وقد برع هذا الفاضل فى التاريخ نظما ونثرا . حتى كان يؤرخ الوالدة فى لحظة واحدة من غير كد ولا تعب اهـ . . .

(٢) القواعد مأخوذة من ضبط التاريخ بالأحرف النقدى

روح المعانى

بنورك ياشهاب الدين أرخ أضاء مقامك المحمود حسنا

سنة ١٢٥٢ هـ

أما الألف الساكنة مع واو الجماعة فإنها تحسب لأنها تكتب . . . وكذلك واو عمرو ، وأما الألف التى على الهاء من هذا فإنها تحسب أيضا لأنها تكتب منفصلة من الذال ومتصلة ، والانفصال خط الأكثر ، والاتصال خط المصحف ، وكذلك الألف التى يبدأ بها لفظ الجلالة . . أما المد فقد استقر الرأى أنه مع احتياج الكلمة إليه ، فى الاستقلال يحسب ، وإذا استقلت الكلمة بدونه وأمنت اللبس فلا يحسب ، فالأول كالمد فى آل . فإن الكلمة لا تستقل بدونه لأنها تلتبس بأل وأمثالها . . وأما المد فى آب ومنه قول الشيرزى فى وفات الخليمى :

بشره بالخير واعذر من يؤرخه فللخليمى لما آب أفنان

سنة ١١٢٧ هـ

والثانى كالمد فى لفظ الجلالة ، فإن الكلمة لا تلتبس بغيرها ، لشهرتها واختصاصها . . وأما المد الواقع فى آخر الكلمة الدال على معنى مقصود . كهاء وتاء وباء وأشباهها فهو يحسب عند الجميع

ومنها : إفراز مادة التاريخ بلفظة أرخ أو يؤرخ أو أرخت أو أرخوا وأمثالها ، أو ما يفيد معنى هذه الألفاظ .. ومثل ذلك كقول بعضهم فى تذهيب قبة الإمام على عليه السلام :

ياطالبا عام إبداء البناء لها أرخ تجلى لكم نور على نور

سنة ١١٥٥ هـ

وقول الشيخ حسن الشامى فى ولاية حسن باشا لمصر :

ولسان الحال يؤرخه كملت مصر بجمال حسن

سنة ١٠١٤ هـ

وقول العمرى عبد الباقى يؤرخ وفاة العلامة شهاب الدين الآلوسى صاحب روح المعانى :

حور الجنان به حفت مؤرخة جنات روح المعانى قبر محمود

سنة ١٨٢٠ هـ

وربما تزيد مادة التاريخ أو تنقص ، فيجوز الإكمال أو التنقيص بنكتة أدبية .. فالأول كقول بعضهم فى تعمير مسجد صاحب الجواهر :

تم بأقصى اليمين تاريخه شيد على أسس التقى ركنه

سنة ١٣٥١ هـ

أشار بأقصى اليمين إلى إضافة حسين، وفيه النكتة الأدبية.. والثانى كقول بعضهم أيضا فى تزيين قبة الإمام على عليه السلام بأمر أحمد خان النواب :

فأنخ والق عصاك وادع مؤرخا للخير وفق أحمد النواب

سنة ١١٩٨ هـ

إشارة إلى إلقاء واحد من المجموع وهى نكتة أدبية لطيفة

وقد تفنن الأدباء فى هذا الفن . فمنهم من نظم القصيد وجعل كل شطر من شطراتها تاريخا كما فعل النحلاوى بمدح الشيخ عبد الغنى النابلسى . . ومنهم من جعل معجم كل شطر منها تاريخا كما فعل عبد الباقى العمرى فى مولد حفيده وسماها الجوهرة . . ومنهم من جعل من معجم كل بيت ومهمله تاريخا كما فعل الشيخ ناصيف اليازجى . . كما عرفنا عليه أستاذنا الجليل أحمد حسن الزيات فى كتابه تاريخ الأدب العربى ص ٤٥٨ فقال :

(و شعره على طول معالجته له ، وقوة طبعه فيه ، أشبه بشعر الحريرى وأضرابه ، وبخاصة تلك القصائد التى تكلف فيها التاريخ الشعرى ، فقد غالى فى ذلك وأسرف ، حتى كان يضمن البيتين ثمانية وعشرين تاريخا ، أو ينظم القصيدة ، فيلزم فى كل شطر من شطراتها تاريخا ، كقصيدته فى تهنئة إبراهيم باشا فى فتح مكة)

تعجبنى لباقة الأستاذ الزيات ولفتته الأدبية فى تعريف الأدباء وتحليل نتاجهم الأدبى . هو كصيدلى بارع ، يزن الدواء بمقدار . .

لنعد لمجرى الحديث عن أديبنا الحاج مجيد ، فهو أديب عرفته الأوساط الأدبية فى القرن التاسع عشر بالعبقرية والنبوغ وسعة الفكر والخيال والدين ، ويكاد رحمه الله يختص بأدب التاريخ ، وهذه الملكة الفنية عنده من السهولة بمكان . وقد حدثنى عنه صديق الأستاذ اليعقوبى ، عميد جمعية الرابطة الأدبية

فى النجف ، أحاديث من الغرابة بمكان ، بحيث يؤرخ فى بيت واحد من الشعر تواريخ عدة ، لا يستطيعها غيره من الأدباء ، وغير من أرشدنا إليه الأستاذ الزيات :

عاش شاعرنا ، وقضى با كورة شبابه والشيء الكثير من شيخوخته بين الزاغ والدباغ ، وما تتطلبه مهنة العطارة وتقتضيه ، كى يحصل على قوته ويوفر لأهله الخبز الحر الذى يستسيغه ويستطيبه من كده وكدحه . وهو من المؤمنين بحكمة المثل القائل : من عجز عن زاده اتكل على زاد غيره . . وكان رحمه الله مثالا صادقا من أمثلة المسلم الصحيح ، ذا نسك ودين ، كما ينبيء بذلك قوله :

ما شاقنى قرب الحمام وإنما أشتاق قرب الواحد المنان
لأشم ريح العفو عند لقائه وأذوق طعم حلاوة الإحسان

وقوله مناجيا ربه :

أمحصلا مافى الصدور بموقف لا عذر فيه لنا عن العصيان
أتقيم فينا العدل بحكم وحده وأمرتنا بالعدل والإحسان

ومن ظريف مايروى عنه رحمه الله أن شاعرا مكثرا استحسن بيتين لشاعرنا فشطرهما . فصار البيتان والتشطير أربعة أبيات ، ثم شطر الأربعة الأبيات فصارت ثمانية ، ثم شطر هذه أيضا فصارت ستة عشر بيتاً ، ثم شطر الستةعشر بيتاً ، فصارت اثنين وثلاثين بيتا ، كتبها وقدمها إلى صاحبنا العطار

فلما رآها نظر إليه وقال ، صديق الشيخ ! أتسكب أربع قرب من الماء على قدح صغير من عصير الليمون ؟ فعل الله بك وفعل ! . . .

ولسنا الآن بصدد هذا كله ، وإنما نحن بصدد الحديث عن أدب التاريخ . . وإليك بعض أعاجيب هذا الشيخ فى هذا الباب : هذان بيتان أرخ فيهما زواج السيد أحمد بن السيد مرزا القزوينى ، محتوية على ثمانية وعشرين تاريخا وهى :

أكرم بخزان علم أم وارده منكم لزاخر بحر مد آمله
زفت إلى القمر الأسنى بداركم شمس لوار وزان البشر حامله

وهذان بيتان آخران ، أرخ فيهما مقام الإمام على عليه السلام فى الحلة ، على نفقة العلامة السيد محمد القزوينى ره ، وهى :

بباب مقام الصهر مرتقباً نحا أخو طلب بالبر من علم برا
مقام برب البيت فى منبر الدعا أبو قاسم جر الثنا عمها أجرا

١٣١٦ هـ

والتواريخ هذه . على النمط التالى : (٢)

(١) صدر الأول (٢) عجزه (٣) صدر الثانى (٤) عجزه (٥) مهمل البيت الأول . (٦) معجمه (٧) مهمل صدر الأول مع معجم عجزه (٨) معجم صدر الأول مع مهمل عجزه (٩) مهمل البيت الثانى (١٠) معجمه (١١) مهمل صدره مع معجم عجزه (١٢) معجم صدره مع مهمل عجزه (١٣) مهمل الصدرين (١٤) معجم الصدرين (١٥) مهمل صدر الأول مع معجم صدر الثانى (١٦) معجم صدر الأول مع مهمل صدر الثانى (١٧) مهمل العجزين . . . (١٨) معجم العجزين (١٩) مهمل عجز الأول مع معجم عجز الثانى (٢٠) معجم عجز الأول مع مهمل عجز الثانى (٢١) مهمل صدر الأول مع مهمل عجز الثانى (٢٢) معجم صدر الأول مع معجم عجز الثانى (٢٣) مهمل صدر الأول مع معجم عجز الثانى (٢٤) معجم صدر الأول مع مهمل عجز الثانى (٢٥) مهمل عجز الأول مع مهمل صدر الثانى (٢٦) معجم عجز الأول مع معجم صدر الثانى (٢٧) مهمل عجز الأول مع معجم صدر الثانى (٢٨) معجم عجز الأول مع مهمل صدر الثانى

فجعل كل شطر برمته تاريخا ، والحروف المعجمة من كل شطرين تاريخا ، ومثلها الحروف المهملة ؛ فيتجمع من ذاك ستة عشر تاريخا ، وكذلك المعجمة مع المهملة ، والمهملة مع المعجمة ، فيتجمع اثناعشر تاريخا . فيكون المجموع ثمانية وعشرين تاريخا . .

ونحن نكتفى بهذا القدر من هذا البحث ، وعن هذا الشاعر ، لقلة المصادر الموجودة لدينا عنه ، وقلة من كتب عنه ، وأظن فى بحثنا هذا الكفاية بعض الشيء عن هذا البحث وعن هذا الشاعر ، وأخذ الفكرة عنه ، ومن الله نستمد المعونة والتوفيق

العمارة — العراق — خليل رشيد

(٢) عن المجموع الرائف المخطوط . لبحر العلوم :
٣٦ ، ٣٩